أثر الرسولﷺ في بناء شخصية الصحابة والآل

إبراهيم النعمة

الإخلاص

الإخلاص شعبة من شعب الإيمان، بل هو من أرفع تلك الشعب. والمراد به: أن يكون كل قول من أقوال المسلم أو عمل من أعماله مرادا به وجه الله والدار الآخرة، من غير نظر إلى جاه أو مثوبة من أي إنسان كان. فهو ثمرة من ثمرات التوحيد الخالص لله، ومحله القلب لا يطلع عليه أحد من الناس. والعمل مهما عظم بلا إخلاص يعد جسدا بلا روح. وقد أراد الله تعالى منا حقيقة العمل وليس صورته. وقد تحدث الإمام الغزالي عن حقيقة الإخلاص وأنه طريق السعادة الحقيقية فقال:

(فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان، وأنوار القرآن، أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء)[1]

وأشار العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله إلى أن الإخلاص وحب الثناء والطمع لا يجتمعان في قلب إنسان فقال:

(لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولا فأذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص)[2].

فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم. فإذا عمل الإنسان عملا يبتغي به غير وجه الله تعالى، فإنه يرمى به في وجهه يوم القيامة. فمن تصدق مباهاة وطلب العلم ليقال له عالم، أو قاتل من أجل أن يقال فيه، إنه جريء شجاع ....إن كل واحد من هؤلاء وأشباههم يحبط عمله، ولا ينتفع منه يوم القيامة، والله تعالى يقول ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ

---

(١) إحياء علوم الدين تأليف الإمام أبي حامد الغزالي ٣/٥، ضبط نصه وخرّج أحاديثه: محمد محمد تامر، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٤، مؤسسة المختار، القاهرة.

(٢)الفوائد لابن قيم الجوزية ص١٤٩ ، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ سورة الفرقان.

(فالاخلاص هو قارب النجاة لكل السائرين والسالكين .. إنه طريق الهدى والتقى، وهو المفتاح لكل أبوب الخير، بل هو السر الرباني الذي استودعه الله قلوب عباده الذين يحبهم ويحبونه)[1].

(والإخلاص أمره عظيم، وسبيل الحصول عليه ليس بالأمر اليسير، فلا بد من مجاهدة النفس للحصول عليه، وقد سئل سهل بن عبد الله التستري: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: (الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب))[2].

الإخلاص في القرآن الكريم

تكاثرت آيات القرآن المسلم إلى إخلاص القول والعمل لله وحده –وبخاصة الآيات المكية– ذلك أن الإخلاص يمثل التوحيد الذي قام عليه هذا الدين، وأمر به كل نبي من أنبياء الله، وكل رسول من رسله يقول الله ﷻ :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الزمر.

وتوالت آيات القرآن نزولا على النبيﷺ تأمره بإخلاص الدين لله وابتغاء وجهه الشريف، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾سورة الزمر/ ٢ – ٣.

وقال:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة الأنعام.

وقال:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾سورة الكهف/٢٨.

---

(١) في التزكية والسلوك تأليف: عدنان سعد الدين ص٤٤، الطبعة الثانية، ١٤٢٨–٢٠٠٧، دار عمار ، عمان، الأردن.

(٢) مدارج السالكين لأبن قيم الجوزية ٩٢/٢، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣–١٩٧٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

وقال:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة النساء.

وقال:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ سورة البينة.

ومدح الله الذين صبروا على مشقة الطريق ابتغاء وجه الله فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الرعد.

ولا تكون الأعمال الطيبة من الصدقات والإصلاح بين الناس وغيرهما مقبولة عند الله إلا إذا كان العمل يبتغى به مرضاة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة النساء.

وقد أمر الله تعالى الناس أن يخصوه بالعبادة وحده ويخلصوا طاعتهم فيها، مبتغين بذلك وجه الله، فقال تعالى:

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الأعراف.

الإخلاص في أحاديث النبيﷺ

وكما كثرت الآيات المسلم إلى الإخلاص في القرآن الكريم، فقد كثرت –ايضا– أحاديث النبيﷺ في هذا، من ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه:

«إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه»[1].

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي وفي الإيمان (باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى) وفي العتق وغيرها، ومسلم في كتاب الإمارة (باب: قول النبيﷺ :إنما الأعمال بالنية)...

ولفظ الأعمال في الحديث: (إنما الأعمال بالنيات) يشمل الأقوال والأعمال؛ لأن المراد قصد عمل الجوارح ، ومنها: اللسان ولأهمية هذا الحديث ذكر الإمام الشافعي أنه يدخل في سبعين باباً من أبواب الفقه. وهو ينص على أن الأعمال والأقوال لا تقبل إلا بإخلاص نية صاحبها لله، فإن كانت النية لغير وجه الله، فإن الله تعالى يترك عمله لذلك الشريك، ولذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك: من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(١).

وحذر النبيﷺ من يعمل عملا لغير وجه الله تعالى فقال:

«إِنَّ أَوَّلَ الناس يُقْضَى يوم الْقِيَامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها قال قَاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها قال تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هو قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعْطَاهُ من أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها قال ما تَرَكْتُ من سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لك قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ»(٢).

إن هذه الأعمال من القتال في المعركة ضد المشركين، وتعلم العلم، وقراءة القرآن، وإنفاق المال للفقراء وذي الحاجة هي من الأعمال الطيبة، لكنها لا تنفع صاحبها؛ إذا لم يقصد بها وجه الله.

وعن أبي موسى الأشعريﷺ قال: سئل رسول اللهﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءا أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول اللهﷺ **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**(٣).

إن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة تقاتل مع الصف الإسلامي إذا دعا داعي الجهاد، لكنهم لا ينتفعون من قتالهم في الدار الآخرة شيئا؛ ذلك لأن كل صنف من هذه

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد (باب: من أشرك في عمله غير الله) ٢٢٨٩/٤، حديث ٢٩٨٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار)، ١٥١٤/٣،حديث ١٩٠٥.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري بارقام ١٢٣و٢٨١٠و٣١٢٦و٧٤٥٨، ومسلم واللفظ له في كتاب الإمارة (باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ١٥١٣/٣، حديث ١٩٠٤.

الأصناف كانت له نيته الخاصة به في قتاله: فالأول قاتل شجاعة، والثاني قاتل أنفة ومحاماة عن عشيرته، والثالث قاتل ليرى الناس قتاله فيحمدوه. إنّ هذه النيات الثلاث ليست في ميزان الله في شيء، ولا يصح أن توضع مع الإخلاص، فقد أخذ كل صنف من هؤلاء حظه في الدنيا، ولا حظ له يوم القيامة، أما من قاتل ليعلي كلمة الله، فهو المجاهد في سبيل الله الذي يأخذ حظه يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقال النبيﷺ:

«إنّ الله لا ينظر إلى اجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم –وأشار باصبعه إلى صدره–»(١).

وقال:

«ثَلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»(٢).

وقال:

«ثلاث لا يغل (يخون) عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(٣).

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل:

«أخلص العمل يجزك القليل منه»(٤).

ويبدو من هذا الحديث أن قبول العمل لا يتوقف على كثرته، بل يتوقف على الإخلاص فيه. وهذه الأحاديث –وغيرها كثير– تنصُّ على أهمية النية في كل قول يقوله المسلم وعمل يعمله.

الرياء(٥)

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (باب: تحريم ظلم المسلم) ١٩٨٧/٤ حديث ٢٥٦٤.

(٢) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ص١٨، حديث ٢٦، دار الحديث القاهرة ١٤٢٤–٢٠٠٣.

(٣) رواه ابن ماجه ١٠١٦/٢، حديث ٣٠٥٦.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٣٤١/٤، حديث ٧٨٤٤، والديلمي في الفردوس كلاهما عن معاذ بن جبل ٤٣٥/١، حديث ١٧٧٢.

(٥) عن كتابنا: فقه المسلم ص١١٣-١١٥، ١٤٣١-٢٠١٠، مطبعة استثمار الوقف السني، بغداد.

ويقابل الإخلاص الرياء: وهو نوع من أنواع الشرك في العبادة. وقد سماه رسول الله ﷺ بالشرك الأصغر، وهو محبط للعمل، وليس له ثواب. وصورته: أن يطلب الإنسان المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة: كالذي يصوم ويصلي ليعظمه الناس ويثنوا عليه. يقول الله ﷻ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف/ ١١٠.

وقد ورد في سبب نزول الآية: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا نبي الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكاني، فأنزل الله تعالى هذه الآية) [١].

وقال تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الماعون/ ٤ – ٧.

وقد كان ﷺ يخاف على أمته من الشرك الأصغر. ومن أحاديثه في هذا قوله:

(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر). قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: (الرياء. إن الله – تبارك وتعالى – يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا فانظروا: هل تجدون عندهم جزاءاً)[٢].

وقوله – صلوات الله وسلامه عليه –:

«إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله – تبارك وتعالى – احداً فليطلب ثوابه من عند غير الله ﷻ فإن الله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك»[٣].

وقوله ﷺ:

«من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلاّ ليصيب عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[٤].

آثار الرياء

وللرياء آثار سيئة ينالها المراءون منها:

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٠٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٨/٥ – ٤٢٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند حديث ١٥٧٨٢. المسند ٣٣٨/١٢.

(٤) رواه أبو داوود في كتاب العلم (باب: في طلب العلم لغير الله تعالى). حديث ٣٦٦١، عون المعبود ٥٦/١٠.

١- عدم قبول أعمالهم. قال الله ﷻ:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الفرقان.

فلم تنفع هذه الأعمال أصحابها، لأنها كانت خالية من الإخلاص لله وحده، وقد سئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- عن العمل المقبول عند الله فقال: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: (إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة) [١].

٢-يكون المرائي مبغوضاً عند الناس، لأن الله يبغضه. قال النبي ﷺ:

«إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال: إني أبغض فلاناً فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض»[٢].

٣-المراءون أول من تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة. قال النبي ﷺ:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ أستشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد،

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٨٩/٢. بتحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣-١٩٧٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده) انظر صحيح مسلم ٢٠٣٠/٤.

فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار»[1].

هذه الآثار السيئة للمرائين وغيرها، هي التي جعلت الصحابة يخافون من هذا الداء، فكانوا يدعون الله أن تكون أعمالهم خالصة لوجه الله، لئلا يصيبهم من آثار هذا المرض ما يصيبهم، فكان من دعاء سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

(اللّهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)[2].

لذلك على المسلم أن يكون يقظاً في كل قول يقوله وعمل يعمله، بل في كل خلجة من خلجات نفسه، ليطرد ما يعكر على القلب إيمانه، ويشوه نقاءه، فلا يعمل العمل إلاّ لله.

علاج الرياء

إن حمل المسلم نفسه على الإخلاص وتصفيتها من أية شائبة كانت من شوائب الرياء ليس بالأمر الهين، لأن ذلك يعني أن يتغلب المسلم على حظوظ نفسه وأغراضها الدنيوية؛ فلا يستطيع أن يصل إلى الإخلاص الصحيح إلا بالمجاهدة الشديدة والمراقبة الدائمة للشيطان ومداخله وما أكثر مداخله! فإذا أصيب المسلم بهذا الداء الوبيل والشر المستطير الذي يورد صاحبه موارد الهلكة إذ يقوده إلى جهنم وبئس المصير، فلا بد له أن يعمل على التخلص منه،ودفعه بأية وسيلة كانت، وأهم تلك الوسائل وسيلتان:

الأولى: اقتلاع جذوره من النفوس، ويكون في الخطوات الآتية:

أ- أن يراقب المسلم ربه ﷻ مراقبة دقيقة في كل أقواله وأعماله ونياته، متذكراً أنه -تبارك وتعالى- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: فيراقب المسلم نفسه قبل أن يأتي العمل، وحين البدء، وفي أثنائه سائلاً نفسه: هل كانت نيتي في الإقدام على العمل أو الإحجام رضوان الله أم لا؟

ب- أن يتذكر أن الرياء محبط للعمل، وان مصير المرائين إلى جهنم... وأنه الخطر الكبير الذي يهدد مستقبل المرائين، فكيف لا يعمل على التخلص منه؟

ج- أن يُعوِّد نفسه على القيام بأعمال خفية بعيدة عن أنظار الناس، ليكون بعيداً عن الرياء: كصلاة النافلة، والتصدق على الفقراء... الخ.

الثانية: دفع ما يخطر في باله في الحال، وذلك بتذكره أن الله ﷻ عالم بحال الإنسان،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار) ١٥١٤/٣.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص ١١٢. صححه وعلق عليه: عبد الوهاب فايد، مطبعة محمد علي صبيح ١٣٧٧-١٩٥٨.

مطلع على أعماله: فهو يرجو رضوان الله فقط، لايهمه أطلع الناس على ما يقدمه من طاعات أم لم يطلعوا، ما دام يبتغي رضوان الله، ويطمع في جنته.

وبهذا التفكير ومجاهدة النفس من نزغات الشيطان، يتخلص الإنسان من الرياء أو يكاد...!

ولا تظنن أخي – المسلم – أن الشيطان يتركك إن لم يفلح في إغوائك مرة واحدة، بل يعود إليك مرات ومرات، ملقياً ما يستطيع إلقاءه من نزغات النفس، وحين يعمل المسلم بجد على دفع ما يخطر في باله في الحال يتمكن من مقاومة هذا الداء الوبيل داء الرياء...![1].

إخلاص الصحابة

كل من يقرأ ما كان عليه الصحابة من حرصهم على الإخلاص لله في كل قول يقولونه وعمل يعملونه، يرى اهتمامهم الكثير بأمر الإخلاص؛ ذلك لأن مداخل الشيطان إلى النفس البشرية كثيرة، توسوس في نفس الإنسان لتجعله يبتعد عن مرضاة الله؛ طلبا للدنيا. ولما كانت آيات القرآن الحكيم وأحاديث النبيﷺ كثيرة في الدعوة إلى إخلاص القول والعمل، فقد صارت توصياتهم ومواقفهم كثيرة كثيرة، وهذه أمثلة على ذلك:

١–قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعودﷺ يوصي إخوانه وتلاميذه:

(كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ، مَصَابِيحَ الْهُدَى، أَحلاسَ الْبُيُوتِ، سُرُجَ اللَّيْلِ، جُدُدَ الْقُلُوبِ، خُلْقَانَ الثِّيَابِ، تُعْرَفُونَ في أَهْلِ السَّمَاءِ، وَتَخْفَوْنَ على أَهْلِ الأرض)[2].

٢– (خَرَجَ عمر بن الخطابﷺ يَوْمًا إلى مَسْجِدِ رسول اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ مُعَاذَ بن جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النبي ﷺ يَبْكِي فقال: ما يُبْكِيكَ؟ قال: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ من رسول اللَّهِ ﷺ، سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ من عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إذا غَابُوا لم يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لم يُدْعَوْا ولم يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ من كل غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ**»[3].

إنها الحساسية من الوقوع في أي لون كان من ألوان الشرك –ولو كان ضئيلا– لأن مداخله إلى النفس الإنسانية كثيرة. ومحاسبة النفس هكذا تربي في المسلم الإخلاص الذي

---

(١) عن كتابنا فقه المسلم ١١٣–١١٥، ١٤٣١–٢٠١٠ مطبعة استثمار الوقف السني بغداد.

(٢) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين لمحمد الزبيدي ١٠/١٦–١٧، الطبعة الأولى ١٤٠٩–١٩٨٩، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن (باب: من ترجى له السلامة من الفتن) ٢/١٣٢٠–١٣٢١، حديث ٣٩٨٩، والحاكم في المستدرك ٤/٣٦٤، حديث ٧٩٣٣.

دعا إليه القرآن الكريم، ودعا إليه رسول اللهﷺ.

٣-قال سليم بن حنظلة: (بينا نحن حول أُبي بن كعب نمشي خلفه إذ رأى عمر، فعلاه بالدرة! فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال: إن هذه ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع)[١].

٤-قال الطبري: (لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما أرينا مثل هذا قط ما يعد له ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا هل أخذت منه شيئا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنا فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه؛ فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه؛ فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس)[٢].

هكذا يستعلي الإيمان على متاع الدنيا مهما كثر. فقد حصل هذا الرجل على مال كثير لا يقدر بثمن لمّا فتحوا المدائن، ولو أراد أن يخفيه ويأخذه لنفسه لكان من أغنى الناس، لكنه الإيمان مع النية الخالصة لله يمثله قوله (أما والله لولا الله ما أتيتكم به) وحين طلبوا منه أن يعرفهم باسمه أبى ذلك وقال: (لا والله لا أخبركم لتحمدوني). إنه الإخلاص في صورة من أبهى الصور.

٥-عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي وهو بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يقول قال رسول اللَّهِ ﷺ «**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ**» فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ فقال: يا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. قال: فَرَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ فقال: أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلامَ. ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، فَأَلْقَاهُ ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إلى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حتى قُتِلَ)[٣].

٦-عن شداد بن الهاد ﷺ: أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبيﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أُهاجر معك؟ فأوصى به النبيﷺ بعض أصحابه، فلمّا كانت غزوة غنم النبيﷺ سبيا؛ فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبيﷺ؛ فأخذه فجاء به إلى النبيﷺ فقال: ما هذا؟ قال (قسمته لك) قال ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا -وأشار إلى حلقه بسهم-؛ فأموت، فأدخل الجنة فقال: «**إنْ تصدق الله يَصدقك**»، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو؛ فأتي بهﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار؛ فقال النبيﷺ: «**أهو هو؟!**» قالوا:

---

(١) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠/١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: ثبوت الجنة للشهيد ١٥١١/٣، حديث ١٩٠٢.

نعم. قال: «**صدق الله فصدقه**» ثمّ كفنه النبيﷺ في جبته الشريفة، ثم قدّمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته:

«**اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك**»[1].

إنّ هذا الأعرابي يعلمنا الإخلاص كيف يفعل فعله في نفس المسلم: فقد كان حديث عهد بالإسلام، لم يمضِ على إسلامه غير وقت يسير، ولم يتعلم من الصحابة إلا اليسير؛ لقلة المدة بين إسلامه واستشهاده، لكن إيمانه الصحيح بالله كان قد تغلغل في صميم قلبه، فصارت الجنة مبتغاه، ولا شيء غيرها، وقد صدق الله فصدقه.

٧-روى الطبري في تفسيره قال:

(كان أبو بكر الصديق يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني، أراك تعتق أناسا ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال: أي أبت، إنما أريد -أظنه قال- ما عند الله. قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [2]

(إنما أريد ما عند الله!) ما أجملها من كلمة قالها الصديق، ونزلت الآيات تثني عليه وعلى كل صاحب عمل طيب . ويكفيه أنه يسره الله لليسرى، فقد وصل قمة السعادة ووفقه الله في حياته كلها، وهذه ثمرة من ثمرات الإخلاص لله تعالى.

من وصايا السلف

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن من علماء السلف من كثرت كلماتهم ووصاياهم في حض الناس على التمسك بالإخلاص قولا وعملا؛ فقال أيوب السختياني:

(والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه)[3].

وقال بشر:

---

(١) رواه النسائي في كتاب الجنائز (باب: الصلاة على الشهداء، حديث ١٩٥٢، صحيح سنن النسائي لمحمد ناصر الدين الألباني ٤٣/٢-٤٤، الطبعة الأولى ١٤١٩-١٩٩٨. مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) تفسير الطبري ٤٩٥/٢٧ بتحقيق: مكتب التبيان للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩، دار ابن الجوزي القاهرة. ورواه الحاكم في المستدرك ٥٧٣/٢، حديث ١٠٨٠/٣٩٤٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) إتحاف السادة المتقين ١٠/١٠.

(ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح) [١].

وقال الفضيل بن عياض:

(إن قدرت على أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف، وما عليك أن لا يثنى عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله) [٢].

وتبدو ثمرة المسلم المخلص واضحة من تأثير كلامه بالناس، فقد قال الشيخ النحاس:

(من أخلص النية، أثّر كلامه في القلوب القاسية فلينها، وفي الألسن الذربة فقيدها، وفي أيدي السلطة فعقلها)[٣].

ولمّا سأل (ذر بن عمر) والده : ما بال المتكلمين يتكلمون ولا يبكي أحد، وإذا تكلمت أنت سُمع البكاء من هنا وهنا؟ فردّ عليه والده بقوله: يا بني، ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى)[٤].

ولا بد أن نشير هنا إلى أنّ إخلاص النية لله لا يكون بإظهار التخشع أمام الناس، ولا بارتداء الملابس البذلة، ولكن باصلاح السريرة مع الله. فكم من الناس لم يعرف عنهم كثير صلاة ولا كثير صيام، وقد قذف الله محبتهم في القلوب، وكم ممن عرف بالصلاة والصيام تنبو عنهم القلوب يقول ابن الجوزي رحمه الله:

(والله لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه، وقدره في النفوس ليس بذاك. ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته. فتدبرت السبب فوجدته السريرة...، فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه. فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر)[٥].

وما أسعد من يهتم برضى الله وحده ولو سخط عليه الناس؛ فإن الساخطين عليه سرعان ما يعودون إلى أنفسهم ويرضون عنه، وقد قال النبيﷺ:

---

(١) إتحاف السادة المتقين ١٠/١٠.

(٢) إتحاف السادة المتقين ١٠/١٠.

(٣) فقه الدعوة في إنكار المنكر تأليف: عبد الحميد البلالي ص٤٦، الطبعة الثالثة ١٤٠٩- ١٩٨٩، دار الدعوة الكويت.

(٤) عن كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٧، ١٣٩٨-١٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٢٢٠، بعناية حسن السماحي سويدان، الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٤، دار القلم، دمشق، سوريا.

«من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس»[1]

وفي رواية أخرى:

«من التمس رضاء الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[2].

إن الإنسان فيه ما فيه من الغرور والجهالة، ولولا ذلك لما طال واستطال وشمخ بأنفه وأشرك في قوله أو عمله غير الله تعالى. ولو تأمل الإنسان بقدرة الله تعالى، وعلم أن الحياة والموت، والغنى والفقر، والرفعة والذلة بيد الله وحده، وآمن بذلك إيمانا صحيحا تغلغل في سويداء قلبه، لما وقع بالشرك في قوله أو عمله.

وقد أدرك الصحابة الكرام هذه الحقيقة بالتربية القرآنية وتربية النبي الكريم لهم، فوضعوا رضاء الله أمام أعينهم؛ فسعدوا السعادة المثلى.

ندعو الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين المخلصين الصادقين الملتزمين بنور هدايته.

---

(١) رواه الترمذي ص ٥٤٤، حديث ٢٤١٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٣١١.
(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب، وابن عساكر